أياماً معدودات

ماذا أعددت لها

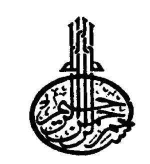
بقلم

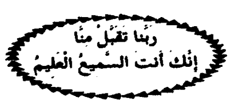
سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين









رقم الإيداع

٢٠٠٧/٩٧٩٥

الترقيم الدولي

977/331/273/9



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٠٢ - ٥٣٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

[النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعــد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعــد:

فمن الصور اللافتة للنظر ازدياد الوعي بقيمة شهر رمضان، والحرص على طاعة الله فيه، تلمس ذلك بوضوح في كثرة عدد المصلين وامتلاء المساجد في صلاة الجماعة وصلاة التراويح والتهجد، بل وتمتلأ الشوارع المحيطة بالمساجد بالمصلين، منهم الكبير والصغير، والرجل والمرأة، ولا تقل أعداد النساء عن الرجال بل قد تزيد، ويشد الانتباه خروج الفتيات الصغيرات لتأدية صلاة التهجد في المسجد بأعداد كبيرة، لقد عشنا حينًا

من الدهر كان لا يدخل المساجد إلا بعض كبار السن، لا يكادون يملئون المسجد ، وكان معظمهم لا يحضر صلاة المغرب ، فمنهم من يصليها في المنزل ، ومنهم من يصليها في المسجد قرب صلاة العشاء بعد أن يفطر مع الأسرة ، ويتعاطى الشاي ويسمع شهر زاد ، وكانوا يصلون صلاة التراويح ببعض الآيات ويختمون الإحدى عشرة ركعة فيما لا يزيد عن ثلث ساعة أو نصف ساعة على الأكثر . . . !!! .

ولم تكن الناس تعرف الصلاة بجزء وجزءين أو أكثر ، وكانوا يعترضون في بداية الأمر على من يصلي بجزء وكأنه ابتدع شيئًا لم يُسبق له ، فإذا تيسر الذهاب إلى الحرم في شهر رمضان لتأدية العمرة أو لتأدية الحج كنت لا تجد إلا من بلغ من الكِبَر عتيًا ، ومن أراد أن يختم حياته بعمرة أو حجة يبيِّض بها صفحته ويغسل بها ذنوبه ، ومن العسير أن تلمح شابًا أو شابة ، بل

كان الناس يعتبون على الشباب بشدة إذا ما تحدثوا في هذا الأمر ، فالعمر أمامهم طويل !!! .

واليوم لا أغالي لو قلت أن عدد الشباب يزيد على عدد الشيوخ ويمتلأ الحرم بالشباب، وخصوصًا في رمضان؛ ويتوافد على بيت الله الحرام مجموعات من الرياضيين والصحفيين والأدباء ، بل والفنانين، حيث تترك المرأة الكثير من زينتها وترتدي الحجاب، وتقلع عن التبذل الذي كانت تعيشه من قبل ، لقد انتشر الحجاب والجلباب ،وكثرت دور تحفيظ القرآن، وصار السؤال والفقه في دين الله مطلب عموم الناس ،وانتشرت موائد الرحمن في رمضان وأصبح المتدينون طوفانًا جارفًا بفضل الله ، الأمر الذي يشكل إرهاصًا بين يدي حدث ضخم ، ومقدمة لا يسعنا إلا أن نستبشر بها ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص: ٨٨] ، فإذا أراد الله أمرًا هيأ

له أسبابه ، إن الأمة تعاود النهوض وتستيقظ من جديد بما لا يدع لأحد أن يقول : نحن نحرث في البحر ،أو نؤذن في مالطة، أو في خرابة ، فالجهود الضعيفة قد أثمرت ثمرة تفوق الخيال والتصور رغم صور الصد عن سبيل الله والتنفير من طاعة الله .

نعم قد يرصد البعض صورًا مؤذية كمن ترتدي الحجاب في رمضان وتخلعه بعده ، ومن لا يصلي إلا في رمضان فقط ، ومن تعود إلى الرقص والغناء والتمثيل بعد صيامها وعمرتها في رمضان ، ومن يهجر المصحف إلا في رمضان . . . . .

هذه الصور الفجَّة المؤلمة تقل سنة بعد أخرى ، ومعاني التدين تتعمق في حس مجموع الأمة ، والبون شاسع والفارق كبير بين ما كنَّا عليه وبين ما آل الأمر إليه ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

هذه الصحوة المباركة قد أربكت خطط الأعداء

وأصابتهم بصدمة عنيفة لما رأوا باطلهم يترنح ، وشاهدوا نور الحق يسطع من جديد، وكانوا قد حسبوا الأمة قد انتهى أمرها ،ولذلك أسفروا عن عداوتهم ووجوهم الكالحة ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾ [التوبة : ٣٢] ، ها هم يشنون الغارة تلو الأخرى على العالم الإسلامي، وكلها تبوء بالفشل بفضل الله، بل كانت هذه الهجمة الشرسة من أعظم أسباب يقظة الأمة واستمساكها بدينها ووضوح مفهوم الولاء والبراء عندها.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

« إذا أراد الله أمرًا أقام له من يعارضه فيحق الله الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .

الحمد لله الذي أطال أعمارنا حتى شاهدنا هذه النبتة وهذه الزرعة تنمو ويشتد ساعدها ، والحمد لله

الذي أشهدنا وإياكم هذه الحقبة التاريخية الفاصلة بين الإيمان والكفر ، والنور والظلام ، والحمد لله الذي بلغنا وإياكم رمضان .

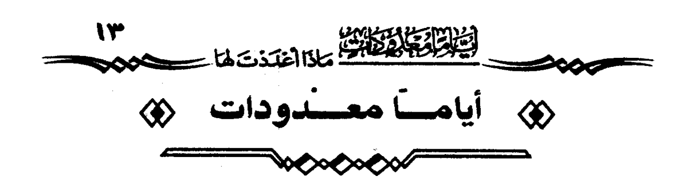
ونسأله سبحانه وتعالى أن يختم لنا ولكم بالإيمان ، اغتنموا فرصة هذه اللحظات المباركات ، فالعمر سريع الانقضاء والانتهاء ، واعملوا عمل رجل لا يُنجيه إلا عمله ، وتوكلوا توكل رجل لا يُصيبه إلا ما كُتِبَ له ، على الله توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



أيامـا معـدودات

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ... ﴾ (سورة البقرة: ١٨٣-١٨٤).

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره:

«يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرًا لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عزَّ وجلَّ لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي

مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (سورة المائدة:٤٨) الآية .

ولهذا قال ههنا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

(سورة البقرة: ١٨٣) .

وذلك لأن الصوم فيه تزكيةٌ للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»، ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك الصوم شهر رمضان. اهـ.

وهذه الكلمة ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ تشعر بسرعة الانقضاء وقرب الرحيل، وهذا واقع، فنحن نستقبل

الشهر لكي نودعه، فلا داعي لاستثقال لحظاته .

ولابد من الإحسان والاستقامة فيها، ولا يتم ذلك إلا بأن نعيش طاعة الوقت من صلاة وصيام وقيام وتلاوة للقرآن، والأمر يحتاج إلى بصيرة، بحيث نتدرب على معرفة قيمة اللحظات وسرعة مرورها وما وظف علينا ربنا فيها من عبادات، ونتابع العلم النافع بعمل صالح، ويقول كلٌ منا لنفسه: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (سورة طه: ٨٤) .

فلا داعي لطول الأمل، وما أنت إلا أيام معدودة وعمرك يمضي بك إلى أجلك، وكما قالوا: كيف يفرح بالدنيا من يومُه يهدم شهره وشهره يهدم سنته ، وسنته تهدم عمره ، وعمره يقوده إلى أجله وحياته تقوده إلى موته يقول تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٣) .

وقال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الزمر: ٥٤-٥٨).

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا وقال: «هذا الإنسان»، وخط إلى جنبه خطًّا، وقال: «هذا اجله» وخط خطًّا آخر بعيدًا منه، فقال: «وهذا الأمل فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب» (رواه البخاري).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (رواه البخاري).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك. ومن حياتك لموتك».

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فأكثر فيها من ذكر هاذم اللذات، بل هي والله أعظم تذكرة بالموت: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ (سورة الجمعة: ٨).

والإنسان قبل ذلك أنفاسه تُعَدُّ، ورحاله تُشدُّ وعاريته تُرَدُّ والتراب من بعد ذلك ينتظر الخدَّ، فإنه ليس عقبى الباقي غير اللحاق بالماضي وعلى أثر من سَلَفَ يمشي من خَلَفَ، وما ثَمَّ إلا أمل مكذوب وأجل مكتوب؛ صعد أبو الدرداء رضي الله عنه يومًا درج مسجد دمشق فقال: «يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إنَّ مَنْ كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم

غروراً»، وكان يقول: «ثلاث اضحكتني حتى ابكتني: طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أأرضى ربَّه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه».

وكان الرجل يأتي إلى أم الدرداء يستنصحها فيقول لها: **«إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء، أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً»، فتقول: «اطلع في القبور واشهد الموتى».**

وكان عليّ رضي الله عنه يقول: **«إنما يخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق».**

ويأتي عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - من بعدهم، يخلفهم في الوعظ والتذكير، فيصعد درج مسجد دمشق ويقول: «إن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع قليلاً بكثير ونافذاً بباق ألا ترون في

أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تُرَدوا إلى خير الوارثين، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غاديًا إلى الله ورائحًا قد قضى نحبَه وانقضى أجلُه ،وطوي عمله، ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد، ثم تَدَعُونه غير موسَّد ولا ممهَّد، قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب ووُجِّهَ للحساب، غنيًا عما ترك فقيرًا إلى ما قدم».

ثم تفكر طويلاً في حياتك في القبر فهي أكثر سعة وأعظم شأنًا من حياتك الدنيوية بأيامها المعدودة، فلعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز وقال: قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم تُرى ما صنعت بهم الديدان؟ محت الألوان وعفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا هم في مُدْلَهِمَّةٍ ظَلْماء؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا

وجـوههم بالية، وأجسـادهم عن أعناقـهم نائية، قـد سـالت الحـدق على الوجنات، وامـتلأت الأفـواه دمًّـا وصديدًا، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا حتى عادت العظام رمـيمًّـا، قـد فارقـوا الحـدائق فصـاروا بعـد السعـة إلى المضائق، ثم راح ينادي يا ساكن القبر غدًا ما الذي غرك من الدنيا؟ أين دارك الفـيحاء وأين رقاق ثيابـك؟ ليت شعري كيف تصبر على خشونة الثرى وبأي خديك يبدأ البلى؟.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ تذكـرك بمدة لُبْـثِكَ في هذه الدار، ثم أنت على القـرب لا محالة مـرتحل، ثم قدر ذلك بالآخرة فـهي أرحب وأوسع من حيـاتك الدنيوية والبرزخية، حيث ينادى على أهلها: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فما الذي أنت صانعه بعـد ذلك؟ ولا أخَالُكَ إلاَّ وقد استـعددت للقاء ربك وعملت عـمل رجل لا ينجيـه إلاَّ عملُه وتوكلت توكل رجل من لا يصيـبه إلا ما كتب له، فـاليوم عملٌ

ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل .

كان الحسن البصري يقول: «المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم، إنكم أصبحتم في أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله في رقابكم والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عزَّ وجلَّ في كل يوم وليلة، لقد فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحًا، وإن أمرًا هذا الموت آخره لحقيق أن يُزْهَدَ في أوله، وإن أمرًا هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره»، وقال: «رحم الله امرءًا نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ (سورة مريم: ٨٤). يعني الأنفاس، آخر العدد خروجُ نَفَسِك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك» ثم يصوغ هذا الميزان الإيماني فيقول: إنك والله لأن تصحب أقوامًا يُخوفونك حتى تدرك

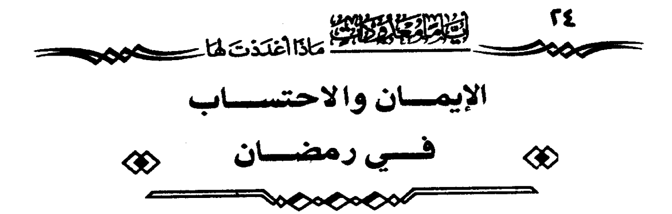
أمنًا، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف».

وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول:

«يا دار تخربين ويموت سكانك»، ولما قيل لأحد العلماء: هذا متاع مرتحل، لشيء يسير وجدوه عنده، فقال: لا أرتحل ولكن أطرد طردًا، فمتى نفيق من غفوتنا وغفلتنا، وإلا فالأيام تمر والصحائف تطوى والأعمال ترفع لرب العالمين، والناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن، فاعمل في أيامك المعدودة، من قبل أن يأتي يوم تقول فيه: ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ (سورة الزمر : ٥٦) ، «أو تنادي» ﴿ **هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ** ﴾ (سورة الشورى : ٤٤) ، أو تقول: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾ .

(سورة فاطر : ٣٧) .

فاغــتنم فرصة هذه اللحـظات، وإلاَّ فكم من مستــقبل يومًا لا يستكمله ومنتظـر غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغـضتم الأمل وغروره، ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (سورة فاطر:٥) ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (سورة غافر:٣٩) .



الإيمان والاحتساب في رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (رواه البخاري).

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» (رواه مسلم).

وقد ورد في حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى: «**إن الله عزَّ وجلَّ فرض عليكم صيام شهر رمضان وَسَنَنْتُ لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا أُخْرِجَ من الذنوب كيوم ولدته أمه**» (رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة).

فصوم رمـضان سبب عظيم لغفـران ذنوب العباد، وذلك مقيد بشرطين يسيرين على من يسرهما الله عليه، وهمـا الإيمان والاحتـساب، إيمانًا بالله ورضـًا بفريضـة الصوم، واحتسـابًا، بأن يصوم محتسبـًا للثواب والأجر من عند الله، غير كاره لهـذا الصيام ولا شاك في الأجر والثواب، والإيمان أسـاس قبول الطاعات ومنهـا الصيام والقيام، وإلاّ فـقد يصوم الكافر قـال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (سورة النور: ٣٩).

وقال سـبحـانه: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (سورة الفرقان: ٢٣).

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (سورة النساء: ٤٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمانُ بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان»** (رواه مسلم).

وأصل الإيمان في اللغة: التصديق كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ (سورة يوسف:١٧). أي بمصدق لنا، وشرعًا فالإيمان قول باللسان وإقرارٌ بالجنان وعمل بالأركان، أو هو قول وعمل ، لذلك ورد في كثير من النصوص اقتران الإيمان بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (سورة الكهف:١٠٧).

والإيمان شعب، والطاعات كلها من شعب الإيمان، والمعاصي كلها من شعب الكُفْر.

وقد بوب الإمام البخاري «باب قيام ليلة القدر من

الإيمان» وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، و«باب الجهاد من الإيمان».

وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضًا عن رسول الله ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة».

وقد عد رسول الله ﷺ صيام رمضان من الإيمان، وأفضل شعب الإيمان التوحيدُ المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وقد اتفق العلماء على أن العبد يدخل في الإسلام بالشهادتين وهو قولنا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وتجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فإذا

انضــاف إلى ذلك تصــديق الباطن كــان مــؤمنًا عند الله تعالى.

وأدنى هذه الشعب إماطة ما يتوقع ضرره بالمسلمين من الأذى، والحـياء شـعـبة من الإيمان، لأنه وإن كــان غـريزة في بعض الأحـيـان، إلا أنه قـد يكون تخلقًـا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وهو حتى وإن كان غريزة، لكن استـعماله على قانون الشـرع يحتاج إلى اكتـساب ونية وعلـم، فهو من الإيمان بهـذا، ولكونه باعثًـا على أفعـال البـر ومانعًـا من المعاصي، وقـد يطلق على كل طاعة على حـدة وصفُ الإيمان، كما في قـوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (سورة البقرة: ١٤٣).

وقـد أجـمـع العلمـاء: أن المراد صـلاتُكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة.

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: **«ثلاث من جمعهن فقد**

جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار (رواه البخاري).

وقد اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي والزلات، وقد استدل الإمام البخاري في صحيحه على ذلك بعدة نصوص منها: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾ (سورة مريم:٧٦)، ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ (سورة محمد:١٧)، وقوله تعالى: ﴿**أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ (سورة التوبة: ١٢٤).

قال ابن بطال المالكي «فإن قيل: إن الإيمان في اللغة التصديق فكيف ينقص؟ قيل له: إن التصديق يكمل بالطاعات كلها فكلما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان،

ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً؛ أما التصديق بالله تعالى وبرسوله فلا ينقص .

وما يؤيد ذلك أيضًا ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عدي: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم وإن أمُت فما أنا على صحبتكم بحريص» ، وأهل الإيمان يتفاضلون ويتفاوتون في درجات الإيمان، فليس من حصَّل أكثر هذه الشعب كمن حصل دون ذلك.

وقد قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما فيهم من أحد يقول إن إيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل، وأفضل هذه الأمة إيمانًا بعد نبيها ﷺ ، أبو بكر فعمر فعثمان فعليٌّ، ثم الصحابة، خيار أولياء

الله المتقين، وكما وصفهم ابن مسعود رضي الله عنه : **«كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا»**.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**.

ومعنى الحديث: أنه لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ، ولاشك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.

وقد بين القاضي عياض: أن من كان كذلك صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاءه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله

تعالى ولذّت له .

والإيمان الذي نتحدث عنه مردُّه للوحي الصادق، ولذلك ابتدأ الإمام البخاري كتابه بكتاب الوحي ثم الإيمان ثم العلم وذلك لعظيم فقهه في دين الله، وقد بين بذلك أن مرد العلم والإيمان لكتاب الله ولسُنّة رسوله ﷺ ، ولا يجوز الرجوع في ذلك إلى علم الكلام أو الفلسفة، والنزاع بين أهل السنة والجماعة الذين يرجعون لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وغيرهم من الفرق الضالة إنما هو نزاع في مصدر العلم ومنهج الفهم، فالصوفيَّة يعتمدون في استنباط الأحكام على الذوقيات والمكاشفات والمشاهدات والمنامات.

ثم أصحاب المنهج العقلاني كالمعتزلة وأشباههم وهم الذين يقدمون العقل على النقل، ثم يأتي بعد

ذلك أصحاب المنهج الوثني كالإسماعيلية والباطنية والروافض.

قرأ ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٦). فقال: تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق، وما الحق إلا واحد، فاعرف الحق تعرف أهله، وعلى الحق نور، وهو ما وافق الكتاب والسُّنَّة.

والقرآن يُطلق على معاني العقيدة والتوحيد وصف الإيمان قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الشورى: ٥٢).

والعقيدة يراد بها الحكم الجازم، الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك، واصطلح كثيرٌ من العلماء

على إطلاق اسم التوحيد على مجمل الأمور التي يجب أن يعتقدها الإنسان وهو الذي تضمنته كلمة «لا إله إلا الله»، والإيمان ثم القرآن هو منهج التربية المعتمد، وذلك لقول جندب رضي الله عنه : «**تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن؛ فازددنا إيمانًا**»، ولقول ابن عمر رضي الله عنهما : «**لقد عشنا برهةً من الدهر وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وزواجرها وأوامرها وما يجب أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل**».

فراجعوا إيمانكم عباد الله، وصوموا وقوموا إيمانًا واحتسابًا، فبهذا تفترقون عمن يصوم على سبيل تخسيس وإنقاص وزنه، ومن يصوم كرياضة، ومن يمتنع عن الأكل والشرب بغية الانتحار، واعلموا أن الصيام

يضيق مجاري الشيطان في العروق .

وبالتالي فـلا مانع من الصيام إيمانًا واحـتسابًا وفي ذات الوقت بغيـة تقليل حدة الشهـوة وذلك لقول النبي ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاءٌ » .

وعلى الصائم أن ينظر هل زاد إيمانه فـي رمضان أم نقص؟ وهل عظم يقينه أم قلَّ؟ ، وإلا فرغم أنفُ امرئ أدرك رمضان فلم يُغفـر له . اللَّهم زدنا إيمانًا واحتسابًا، ونسألك اللَّهم علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا ودينًا قيمًا وشفاءً من كل داء .



شهـــر رمضـــان
الذي أنزل فيه القرآن

وقـد نزل القرآن جـملة واحدة إلى بيت العـزة من السمـاء الدنيا، وهذا قـول ابن عباس رضي الله عنهما وغـيره، ثم نزل منجمًـا مفرقًا على قلب رسـول الله ﷺ حسب الوقائع والأحداث.

وبشأن التنزل الأول يقول سبحانه:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (سورة القدر: ١).

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ .

(سورة الدخان: ٣).

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ .

(سورة البقرة: ١٨٥).

وليلة القدر هي الليلة المباركة من شهر رمضان، وعني بالتنزل الثاني قوله سبحانه: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٠٦).

وقد كانت الكتب السماوية تنزل جملة واحدة على الأنبياء والمرسلين، فجمع الله التنزيلين للقرآن الكريم.

ثبت في صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

قال النووي: قال العلماء - رحمهم الله -:

النصيحة لكتاب الله تعالى، هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعين،

والتصـديق بما فيه والوقـوف مع أحكامه وتفـهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه والتـفكر في عجائبه والعمل بمحكمـه والتـسليم بمتـشـابهـه والبحـث عن عمـومـه وخصـوصه وناسخه ومنسـوخه، ونشر علومـه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته. اهـ.

والقرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستـقيم، لا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيـغ به الأهواء، ومن تركه واتبع غـير سـبـيل المؤمنين ولاه الله ما تـولى وأصلاه جـهنم وساءت مصيرًا.

والقرآن هو كلام الله تعالى أنزله على رسوله وتعبدنا بتلاوته، فعن عثمان بن عفان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»** (متفق عليه).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إنَّ الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقوامًا ويضع به آخرين»** (رواه مسلم).

وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»** (رواه مسلم).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»** (متفق عليه).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»** (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وقارئ القرآن يترجح على غيره في الدنيا والآخرة وحال الوضع في القبر، فعن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: **«يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله تعالى»** (رواه مسلم).

وكان النبي ﷺ عندما ضاقت القبور بالموتى يوم أحد يسأل: أيهم أكثر أخذًا للقرآن فإذا أشير إلى أحدهم قدمه في اللحد، ويوم القيامة **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»** (حسن صحيح رواه الترمذي).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناسُ نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون».

وعن الفضيل قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيمًا لحق القرآن».

وينبغي الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها لقول رسول الله ﷺ : **«اقرؤوا القرآن، ولا تأكلوا به، ولا تجفُوا عنه، ولا تغلوا فيه»**.

ويجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة مثل: **«إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»**.

وينبغي للمسلم أن يحافظ على تلاوة القرآن ويكثر منها ويجعل لنفسه حظًا وورِدًا من كتاب الله يقرؤه كل يوم، وقد كان كثير من السلف يختمه كل سبع ليال مرة، ومنهم من ختمه مرة في اليوم وأكثر، ولا بأس بذلك طالما لم يخرج إلى حد الملل والهذرمة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة لقول النبي ﷺ : **«لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»** (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح).

وينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر.

فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **« نِعْم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»** .

وثبت عنه أيضًا أنه قال: **«يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه»**.

وفي الحديث الذي رواه الطبراني: «**شرف المؤمن قيامُ الليل**».

وعليه أن يحذر من تعريضه للنسيان، فقد ثبت عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل من عقلها**» (رواه البخاري ومسلم).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقراه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنه قراه من الليل**» (رواه مسلم).

وينبغي أن يحرص القارئ على تنظيف فيه بالسواك، ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة ولا يمس القرآن إلا طاهرًا، ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف، أما الجنب فلا يجوز

له القــراءة لأن بمـقــدوره رفع الجنابة في الحـــال، أمــا الحائض فليست كذلك، ويـستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف ولو استقبل القبلة لكان خيرًا، وعن عائشة رضي الله عنها قــالت: «إني لأقــرأ حــزبي وأنا مــضطجــعـــةٌ على الســرير»، وعنهــا قالت: «كان رسـول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن» (رواه البخاري ومسلم).

ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أراد الشروع في القراءة ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (سورة النحل:٩٨). ويقرأ بهيئــة الخشوع والتدبُّر ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (سورة النساء. ٨٢). وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة فقرأ سورة فبكى حــتى سالت دموعه على ترقـوته، فالبكاء

مستحب مع القراءة وبعدها.

وينبغي أن يرتل قراءته، وأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (سورة المزمل: ٤).

ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب، وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزه.

فقد روى مسلم عن حذيفة ﷺ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقراها ثم افتتح آل عمران فقراها يقرأ ترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل».

وإذا ابتدأ بقراءة أحد القرآء فينبغي أن يستمر على القراءة ما دام الكلام مرتبطًا فإذا انقضى ارتباطه فله أن

يقرأ بقراءة أحد من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس، ويقرأ على ترتيب المصحف، ولا يجوز تنكيس الآيات، وتنكيس السور على خلاف الأولى.

ويستحب طلب التلاوة من قارىء حسن الصوت، وقد كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري: «ذَكِّرْنا ربنا».

ويستحب تحسين الصوت بالتلاوة والاجتماع على قراءة القرآن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» (رواه البخاري ومسلم). والمزمار: هو الصوت الحسن.

ويحرم تفسير القرآن بغير علم، كما يحرم المراء والجدال فيه بغير حق.

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من